العمارة العربية الاسلامية

م.م.علي سعد عبد الوهاب

المحاضرة الرابعة

جامعة المثنى

كلية الهندسة

قسم هندسة العمارة

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

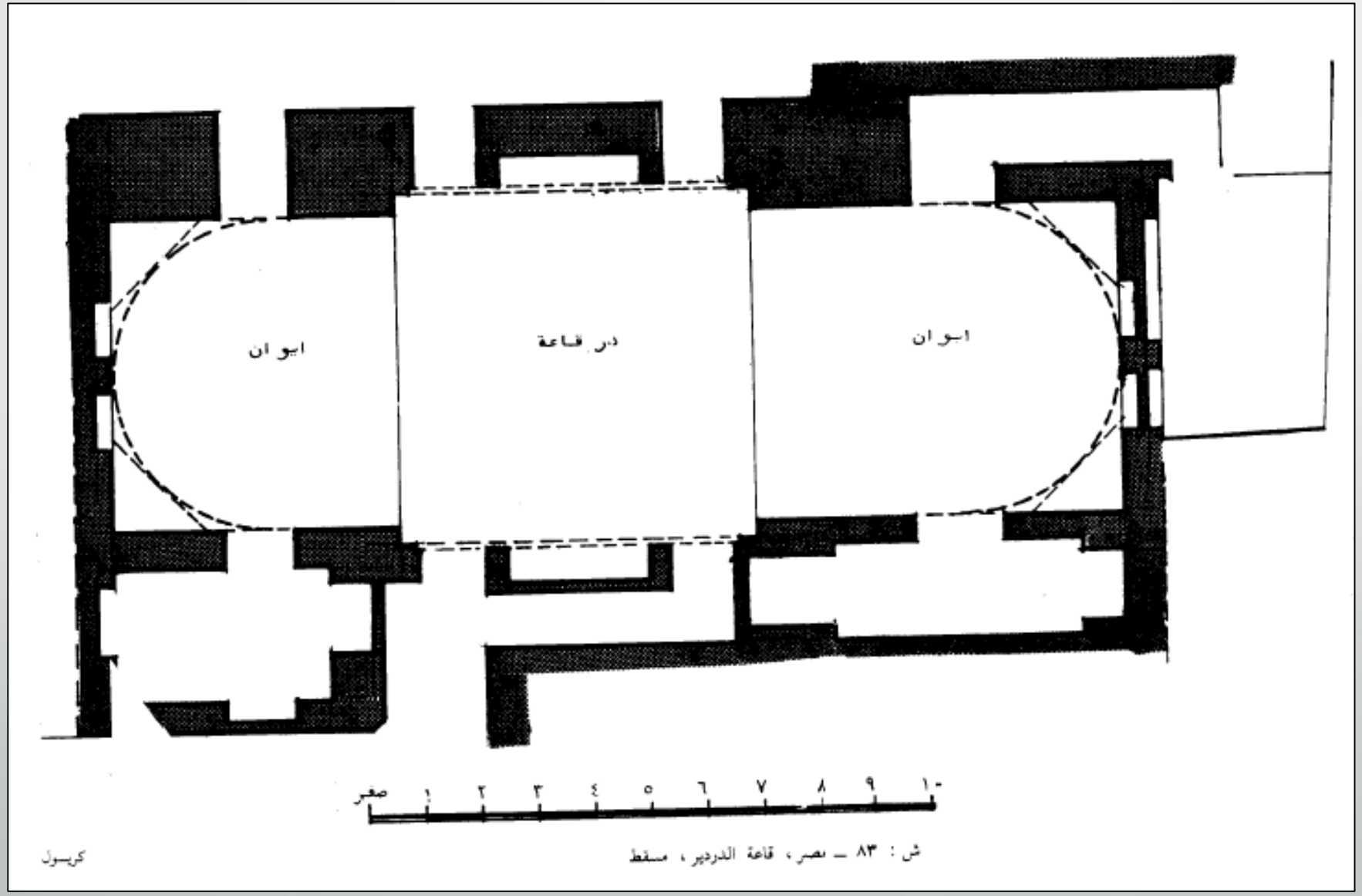

ش : ٨٣ ــ بصر ، قاعة الدرديير ، مسقط

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

ومنزل زينب خاتون بالقاهرة (ش : ١٤٠)[٢٥] ويؤرخان في العصر المملوكي .

وكان من تلك الوحدات الهامة ما يعرف « بالمقعد » وهو يشبه مجلساً أو إيواناً مفتوحاً (ش : ٨٦)[٢٦] يطل من خلال سياج على الفناء ، إذ يعلو فوق حجرة أرضية ويصعد من الفناء إلى المقعد بواسطة قلبة سلم في جانب من الفناء ، كما يوصل المقعد إلى القاعة الرئيسية . ويوجد مثال آخر يعرف ببيت الكريتلية بجوار جامع ابن طولون ، وعلى الرغم من أنه يرجع إلى العصر العثماني إلا أنه قد شيد على النظام المملوكي . ويلاحظ في كل من المنزلين أنه بالإضافة إلى المقعد والقاعة الرئيسية فهناك قاعة أخرى خصصت لنساء الدار وزائراتهن . وأطلق في العصر العثماني على القاعة الرئيسية التي خصصت للرجال اسم « السلاملك » (ش : ١٤٠ و ١٤١) واسم « الحرملك » على القاعة التي خصصت للنساء .

وهناك ظاهرة لطيفة تستحق الإشارة إليها هي وجود مشربية في صدر الإيوان الجنوبي (ش : ٨٥) تدل على أن أهل البيت كان يمكنهم مشاهدة حفلات السمر التي كانت تعقد

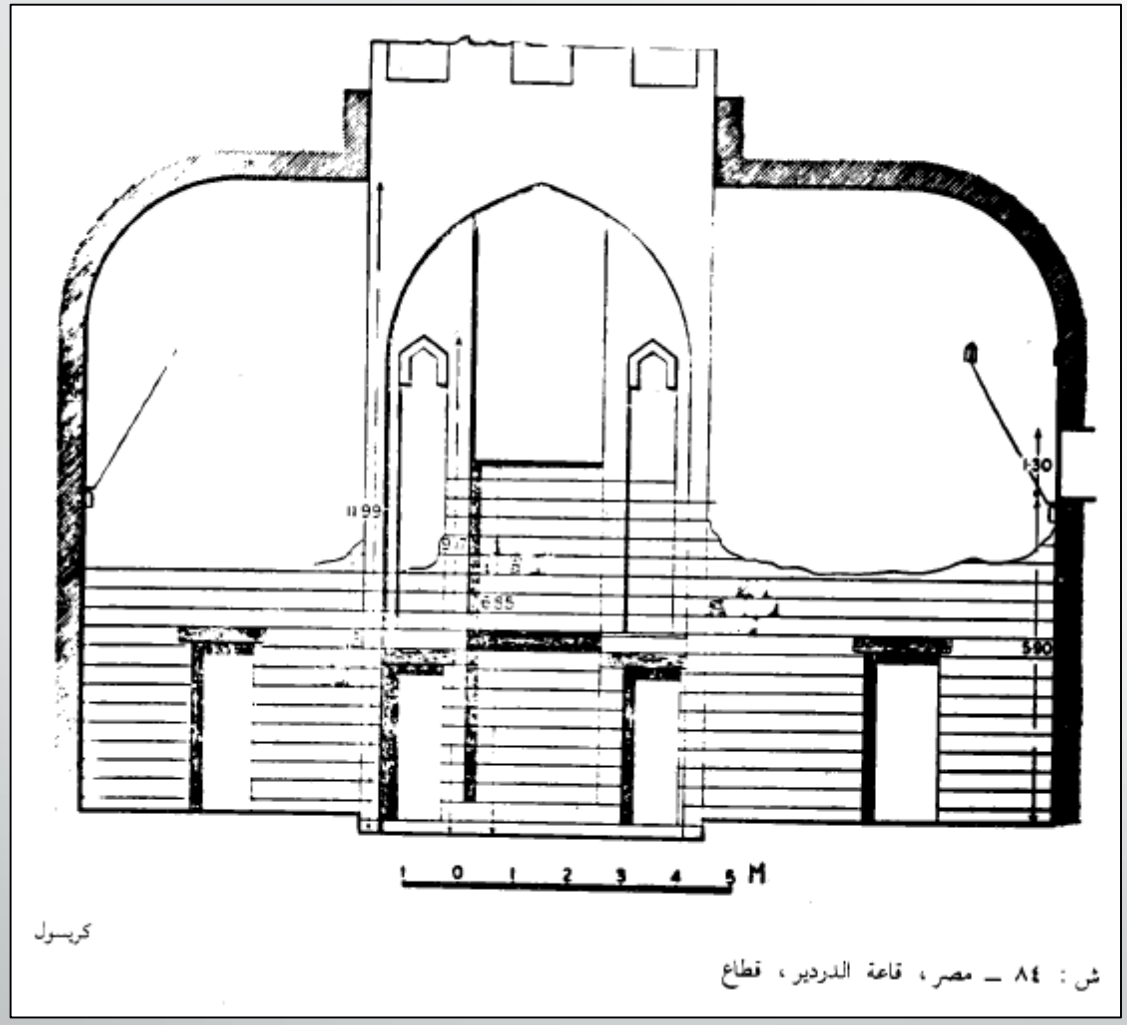

كريسول

ش : ٨٤ ــ مصر ، قاعة الدردير ، قطاع

كريسول

ش : ٨٥ ــ قاعة الدردير ، الإيوان الجنوبي

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

في القاعة بغير أن يكشفهن أصدقاء صاحب البيت ومدعووه ، وهي ظاهرة موجودة أيضاً في بيت الكريتلية ، مما يدل على العناية بأن يستمتع أهل الدار بالحفلات الترفيهية التي كانت تقام في البيوت ، وهي لا شك روح اجتماعية تستحق التنويه بها .

وبالإضافة إلى الحمامات الخاصة بالدور والقصور فقد استمر الاهتمام ببناء الحمامات العامة ، وعثر على بقايا حمام في الفسطاط ينسب إلى العصر الفاطمي[٣٧] .

ومن الموضوعات التي تستحق الاهتمام تأثير المذهب الشيعي الذي كان يعتنقه الفاطميون على التطور المعماري ، أو على تصميم المساجد على الأقل . ذلك أن هناك من يظن أن الجامع الأزهر كان منذ بنائه مركزاً للدعوة إلى ذلك المذهب . غير أن الخلاصة التي يمكن الوصول إليها من أخبار المؤرخين والرحالة المعاصرين لحكم الفاطميين ، وبخاصة من الرحالة ناصر خسرو الذي زار مدينة مصر العاصمة وقلعتها القاهرة في أيام المستنصر بالله ، أن جامع عمرو بن العاص ظل كما كان مركزاً للدراسات ، يتحلق فيه شيوخ وأساتذة وطلاب للتزود بالعلوم والمعارف من دينية ودنيوية ، وكان منها العلوم الشيعية[٣٨] ، أما ما قيل عن الفقهاء الذين كانوا يتحلقون ، أي يجلسون في حلقات ، بالجامع الأزهر في أيام الجمعة ، وكان يرعاهم الوزير يعقوب بن كلس ، فإنهم لم يكونوا مدرسين أو طلاباً بل كانوا علماء منقطعين للعلم ، وكانت حلقاتهم ومجالس القاضي علي بن النعمان ، وكان من علماء الدولة الفاطمية ، حلقات مناقشة ومناظرة بين علماء وليس للتدريس لطلبة .

وكذلك يستخلص من المراجع التاريخية القديمة أن تدريس العلوم الشيعية والدعوة إلى ذلك المذهب كان يتم إما في جامع عمرو بن العاص لعامة الشعب ، أو في القصر الشرقي الكبير الذي كان مقر الخليفة الفاطمي ، وليس في الجامع الأزهر كما هو شائع . وكان التدريس في القصر لحاشية الخليفة وأتباعه فقط وليس للشعب الذي لم يكن يسمح له بدخول القاهرة أو الحصن الفاطمي سوى لفئة المتعيشين من خدمة من يقيم بداخل الحصن من الحاشية والأتباع ، وليس من المنتظر أن يكون لدى هؤلاء المتعيشين وقت أو اهتمام لحضور مثل

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

تلك الدروس ، ذلك أنهم ما كانوا يدخلون الحصن إلا في الصباح ثم يغادرونه إذا ما حل المساء وتغلق دونهم أبواب الحصن .

ومهما يكن من أمر ، فإن المذهب الشيعي لم يكن له تأثير ما على الاتجاهات التخطيطية والمعمارية في القرن الأول من العصر الفاطمي على الأقل مثلما حدث في عصر السلاجقة الذين كانوا شديدي التحمس للمذهب السني مما أنتج ابتكار تخطيط جديد للعمائر الدينية كما سيأتي شرحه .

غير أن تأثير المذهب الشيعي قد بدأ يتضح فقط منذ أول النصف الثاني والأخير من حكم الفاطميين ، وذلك منذ أن أقبل الوزراء على بناء الأضرحة والمشاهد التي حملت أسماء من آل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان الهدف منها تنبيه أذهان الناس إلى صلة الخلفاء بذلك البيت بعد أن ضعفت هيبتهم وتعرضوا لكثير من الهوان .

فقد حدث في منتصف حكم الفاطميين أن تعرضت مصر لمصاعب منوعة ونكبات قاسية ومرت بفترة عصيبة سميت بالشدة العظمى ، وأسفرت عن نتائج حضارية كان لها أثرها على النشاط والتطور المعماري بعد ذلك .

واضطر الخليفة المستنصر بالله إلى استدعاء قائد كان قد ذاع صيته واشتهر اسمه في بلاد الشام وهو المعروف ببدر الجمالي ، وذلك للاستعانة به في إخماد الفتن والحروب التي قامت ودارت بين فرق الجند من الأجناس المختلفة والتي كان يتكون منها جيش الخلافة ، وفي إقرار أمور الدولة التي اختلت بسبب ذلك وبسبب ما صحب القلاقل وزاد منها المجاعة والقحط اللذان عانى منهما الناس في تلك الفترة العصيبة .

بريس دافن

ش : ٨٦ ــ مقعد في بيت شامي

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

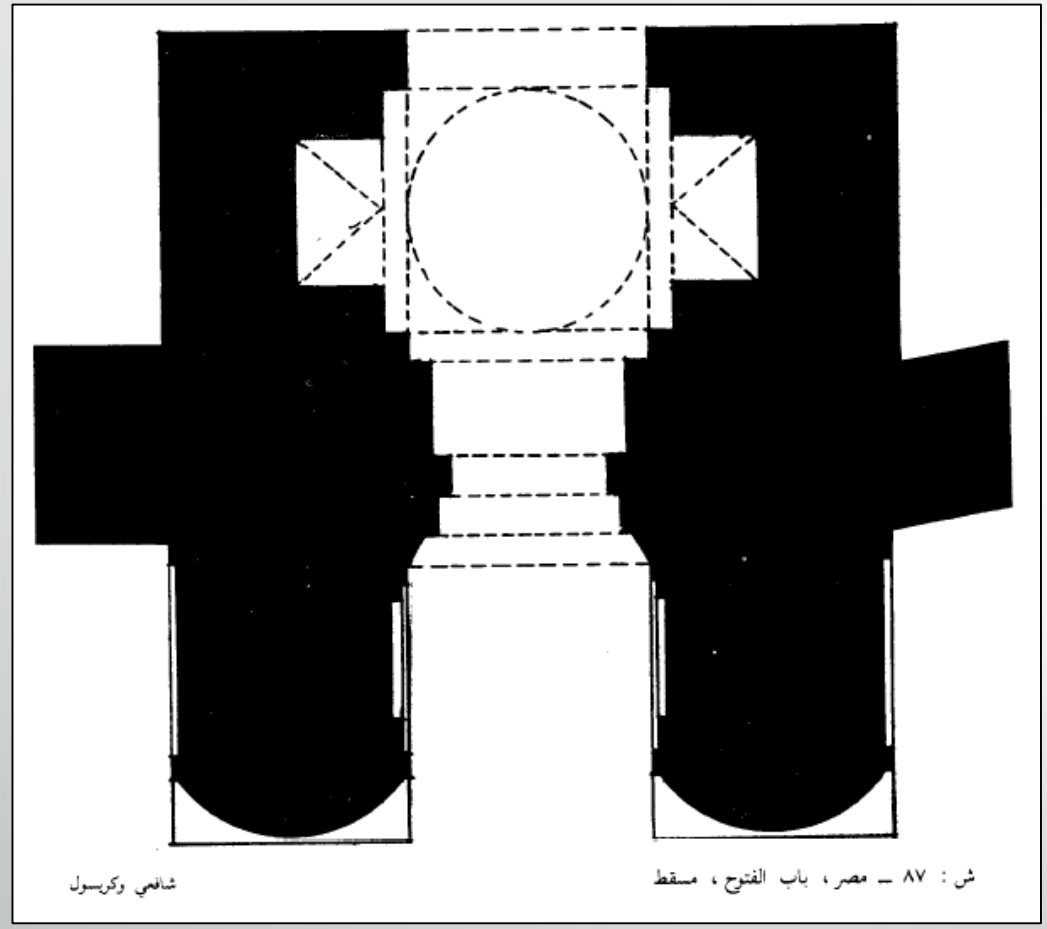

ش : ٨٧ ــ مصر ، باب الفتوح ، مسقط

شافعي وكريسول

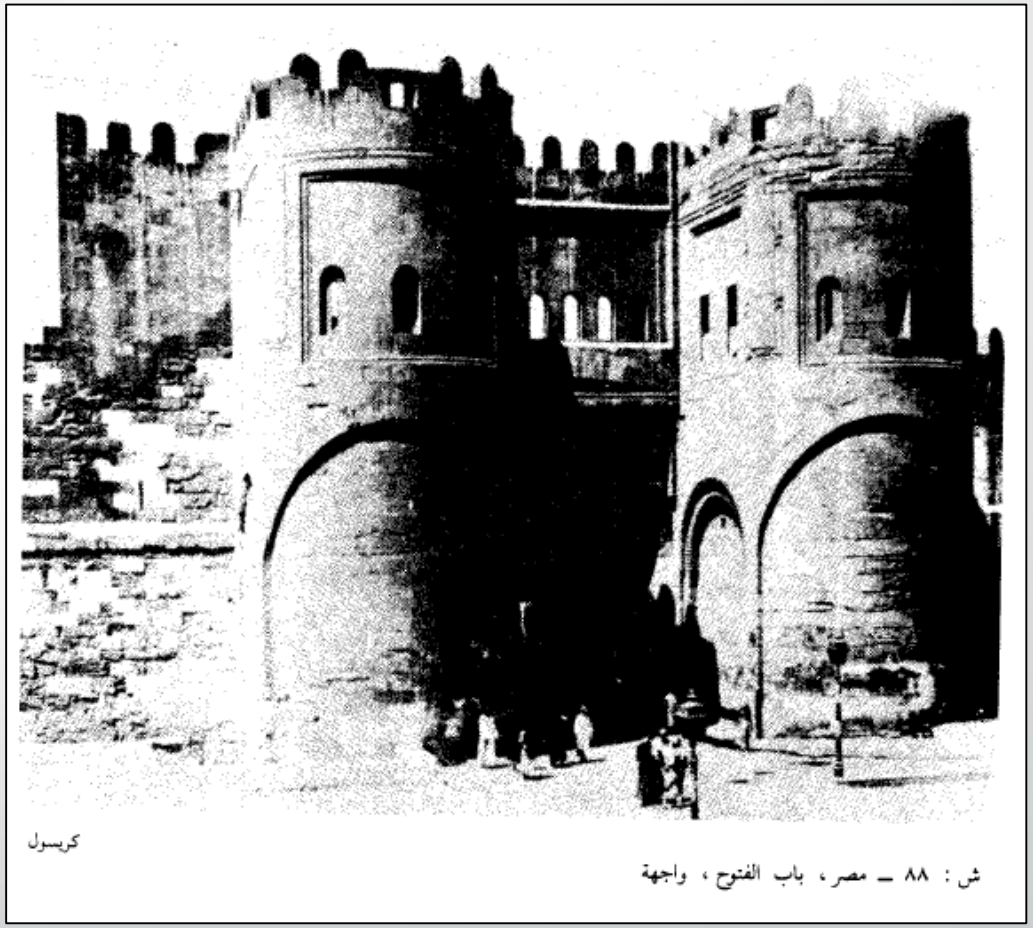

ش : ٨٨ ــ مصر ، باب الفتوح ، واجهة

كريسول

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

وكان من حظ ذلك القائد أن عاد النيل إلى جريانه الطبيعي ، وعادت الخيرات تتدفق على الناس ، وابتدأت خزائن الدولة تمتلئ بالمال مما أمكن لبدر الجمالي معه أن يجدد بناء أسوار القلعة الفاطمية القاهرة وهي كرسي الخلافة .

وبقي من أعمال بدر الجمالي لتلك الأسوار قطاعات كبيرة من السور الذي شيده بالحجر ، كما بقي ثلاثة أبواب لها قيمتها التاريخية والمعمارية وتعد من أجل الأعمال التي أنجزت في تاريخ العمارة العربية الإسلامية ، وهي باب الفتوح (ش : ٨٧ و٨٨)[٢٩] ، وباب النصر (ش : ٨٩ و٩٠)[٣٠] ، وباب زويلة (ش : ٩٣ و٩٤)[٣١] ، المعروف عند العامة باسم « بوابة المتولي » ، وتم بناء تلك الأسوار والأبواب بين عام ٤٨٠ و٤٨٥ هـ (١٠٨٧ و١٠٩٢ م)[٣٢] .

وتتميز تلك الأسوار والأبواب بابتكارات وبدع معمارية غاية في الروعة ، منها على سبيل المثال ذلك السلم الحلزوني الضخم الذي يوصل بين أرضية الحصن من الداخل وبين سطح الكتلة البنائية التي تضم باب النصر ، إذ يلتف ذلك السلم حول عمود ضخم شيد بالحجر المتقن النحت والبناء (ش : ٩١) . كما تتجلى روعة حقيقية في بناء قبو نصف دائري يعلو قلبات السلم الدائرية ويصعد ماثلا معها ، أي أنه يتقوس في اتجاهين مما ينتج أسطحاً كروية مما تزيد من صعوبة التنفيذ والبناء ، ويدل على براعة فائقة ودراية بالهندسة الوصفية .

وهناك بدعة معمارية أخرى تتمثل في قبو النفق في جوف السور فوق زاوية الانكسار عند تقابله مع مئذنة جامع الحاكم (ش : ٩٢) . وهناك بدع معمارية أخرى تبرهن بغير ما شك على دراية العرب المسلمين بعلم الهندسة الوصفية الذي يعد من العلوم الصعبة في أيامنا هذه .

* * *

وتميز النصف الثاني من حكم الفاطميين الذي يبلغ نحو قرن آخر باشتداد نفوذ الوزراء وضعف الخلفاء مما نتج عنه الاتجاه في البناء إلى العمائر ذات الأحجام المتوسطة والصغيرة ، وكثرة بناء الأضرحة والمشاهد التي سمي بعضها

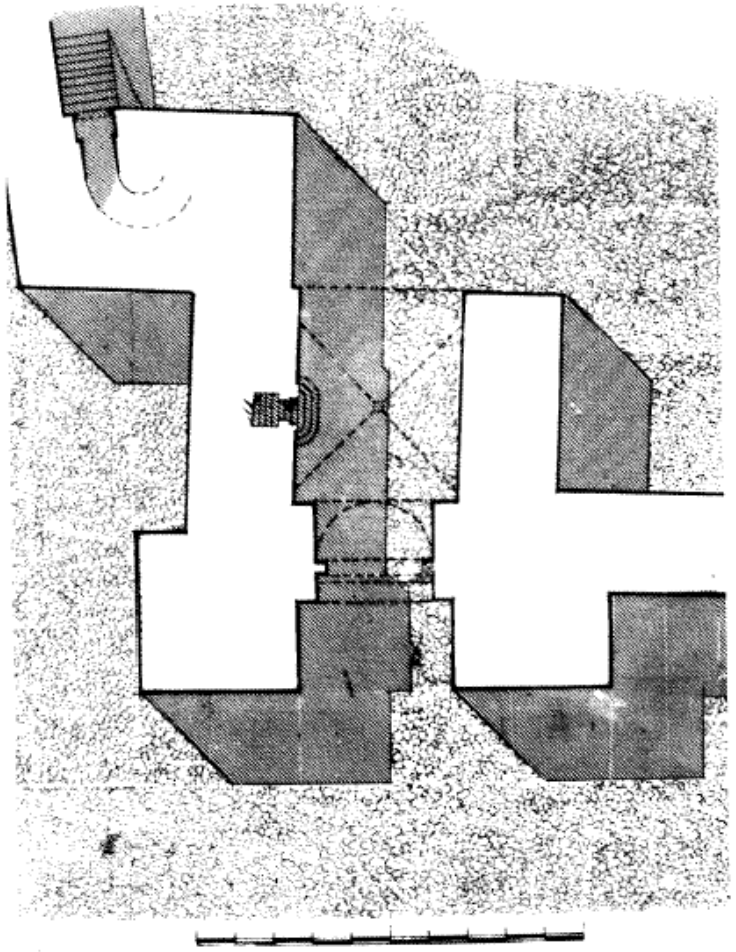

ش : ٨٩ ــ مصر ، باب النصر ، مسقط

شافعي وكريسول

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

بأسماء أفراد من بيت الرسول عليه السلام ، كما سلف القول .

وبقي عدد من تلك الأضرحة والمشاهد ليوضح لنا حلقات من التطورات التي تعرضت لها تقاليد وعناصر معمارية في تلك الفترة ، ونضرب مثلاً منها هو ضريح السيدة رقية (ش : ٩٥ و٩٦)[٣٣] .

ثم تعرضت مصر مرة أخرى إلى متاعب وقلاقل بسبب التناحر بين الوزراء على السلطة وذلك في الوقت الذي زاد اشتعال الحروب الصليبية في الشام ، فاستعان أحد المتنازعين من وزراء الخلافة الفاطمية بالصليبيين ، بينما استعان منافسه بالمسلمين تحت قيادة الأتابكة الذين اضطلعوا بمقاومة الصليبيين . وبرز من بين هذه الأحداث اسم اشتهر في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية هو صلاح الدين يوسف بن أيوب .

* * *

بدأ صلاح الدين الخطوة الأولى في طريق شهرته باشتراكه في الجيش الذي أوفده نور الدين بن زنكى إلى مصر بقيادة شيركوه عم صلاح الدين ، ونجحت الحملة في طرد الصليبيين الذين كانوا قد أغاروا على مصر لأول مرة . ثم عاد صلاح الدين مرة ثانية على رأس حملة أخرى واكتسب ثقة الخليفة الفاطمي فأسند إليه منصب الوزارة ، أو بمعنى آخر أنه بدأ وجوده الدائم في مصر وهو وزير فاطمي ، ومن ثم فقد كان عليه أن يهتم كما اهتم وزراء الخلافة الفاطمية من قبل بتدعيم وتقوية القاهرة قلعة الخلافة ، فزاد من مساحتها في الشرق والغرب اللذين لم يزد فيهما بدر الجمالي من قبل ، وبنى جميع أسوارها بالحجر ليزيد من

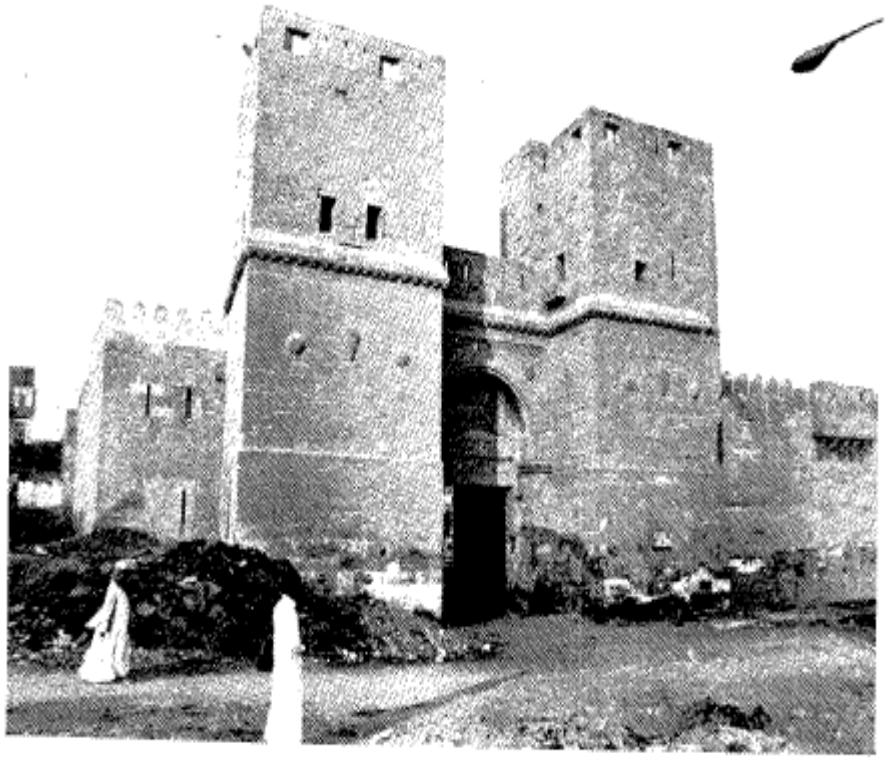

شافعي

ش : ٩٠ ــ مصر ، باب النصر ، واجهة

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

مناعتها لمقاومة غارات أخرى يحتمل قيام الصليبيين بها . وقد نقل إليها من الشام عنصراً دفاعياً كان منتشراً فيها منذ اشتعال الحروب الصليبية وهو عنصر « الباشورة » أو الباب المنكسر ذو المنعطفات الذي رأيناه لأول مرة في تحصينات مدينة بغداد (ش : ٩٧) ، وما يزال يوجد له مثل قائم في أسوار صلاح الدين وهو وزير فاطمي . وسجلته الحملة الفرنسية باسم الباب الجديد (ش : ٩٨ و ٩٩) ، وكان يوصل إلى الباب قنطرة متحركة فوق الخندق المحيط بالطابية القاهرة الفاطمية ، وله عدة أمثلة في الغرب الإسلامي[٣٤] .

ومن أجَلّ أمثلة الباشورة المدخل الذي زودت به قلعة حلب ، وذلك لما يمتاز به من كثرة عدد المنعطفات فيه إذ يبلغ نحو ستة منعطفات ، وهي كثرة تزيد من مناعة القلعة (ش : ١٠٠)[٣٥] لما تسببه من وسائل التعويق عن المرور بسهولة من خلالها ، وما تجعل المهاجمين يتعرضون له من ضرب بالسهام والحراب في أثناء مرورهم بتلك المنعطفات ، فضلاً عن المنحدر القاسي الذي يتقدم المدخل ؛ والذي تحمله القناطر المشيدة فوق الخندق المحيط بالقلعة (ش : ١٠٠ أ) .

ونؤجل الحديث عن بقية نشاط صلاح الدين المعماري بعد توليته السلطنة على مصر والشام ، ثم نشاط خلفائه من سلاطين الدولة الأيوبية إلى ما بعد الحديث عن الدولة السلجوقية التي كان لها أثر كبير على تطور العمارة العربية الإسلامية منذ أن قبضت على أزمة الحكم في منطقة فارس والعراق وآسيا الصغرى ، وحتى غارة المغول ، لارتباط كل ذلك ببعضه البعض .

فلقد عاصر ضعف الفاطميين من جهة وضعف الخلافة العباسية من جهة أخرى ازدياد شوكة الولاة في أنحاء الدولة العربية الإسلامية ، حتى كوّن بعضهم أسرات حاكمة ، من أشهرهم من ناحية النشاط المعماري الذي يهمنا ، دولة السلاجقة العظام .

ظهر أولئك السلاجقة في النصف الأول من القرن ٥ هـ (١١ م) ، واشتد عودهم وتفرع

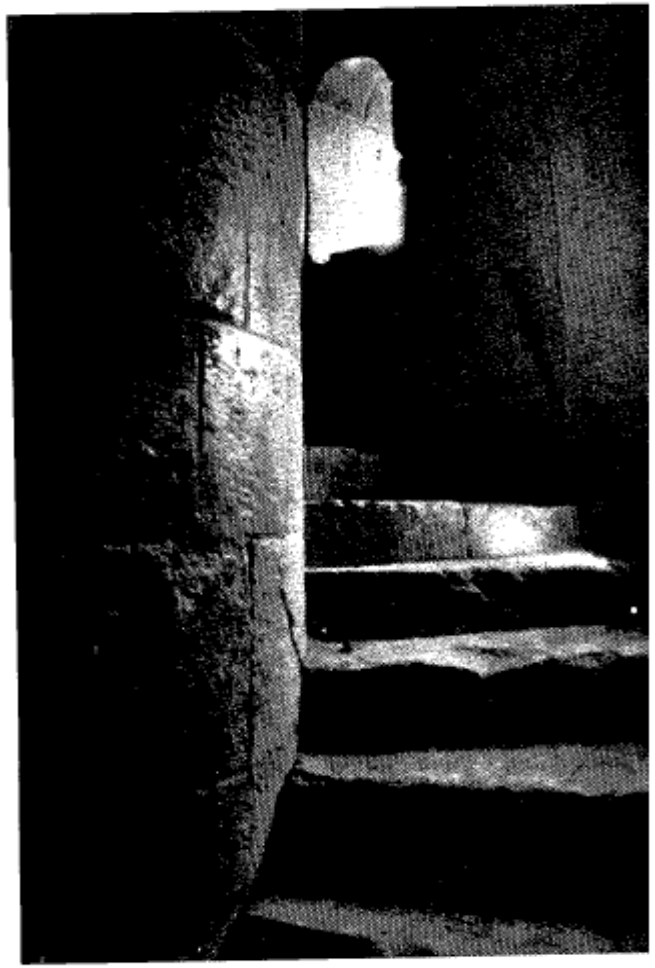

شافعي

ش : ٩١ ــ مصر ، باب النصر ، السلم الحلزوني

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

منهم عدة أسرات حكمت بلاد فارس والعراق وآسيا الصغرى والشام .

وقد بدأوا بأن أزاحوا البويهيين من السيطرة على أمور الدولة العباسية وأوقفوا تثبيت سلطتهم على بغداد .

ويرجع الفضل إلى حماس أولئك السلاجقة الديني للمذهب السني في إعداد مدارس خاصة لتدريسه ، ومن ثم فقد اقتبسوا فكرة عمل إيوان في ظلة القبلة في المساجد يفتح مباشرة على الصحن ، وخصص لجلوس أستاذ أو مدرس متعمق في علوم أحد المذاهب السنية الأربعة : الشافعي والمالكي والحنفي والحنبلي . وكان يخصص أحياناً إيوان ثانٍ في الجهة المقابلة لمذهب آخر ، إلى أن تطور الأمر إلى عمل أربعة إيوانات في الأضلاع الأربعة من الصحن في أحيان كثيرة .

هذا وقد نشأت الفكرة في عمل الإيوانات منذ أوقات مبكرة من قبل السلاجقة ، غير أن حماسهم لنشر التعاليم السنية هو الذي جعلهم يندفعون ويسارعون إلى اتخاذ الدور السكنية بعد إخلائها كأماكن لتدريس مذهب أو أكثر من تلك المذاهب السنية ، ومن ثم تبين لهم أن تخطيط الدار العربية الإسلامية المكون من الإيوانات على جوانب الفناء الأوسط صالح كل الصلاحية لاستخدام تلك الإيوانات للتدريس ، وصلاحية الوحدات السكنية الأخرى والمرافق المحيطة بها وبالفناء لإقامة الأساتذة والمدرسين والطلبة (ش : ٥٢) .

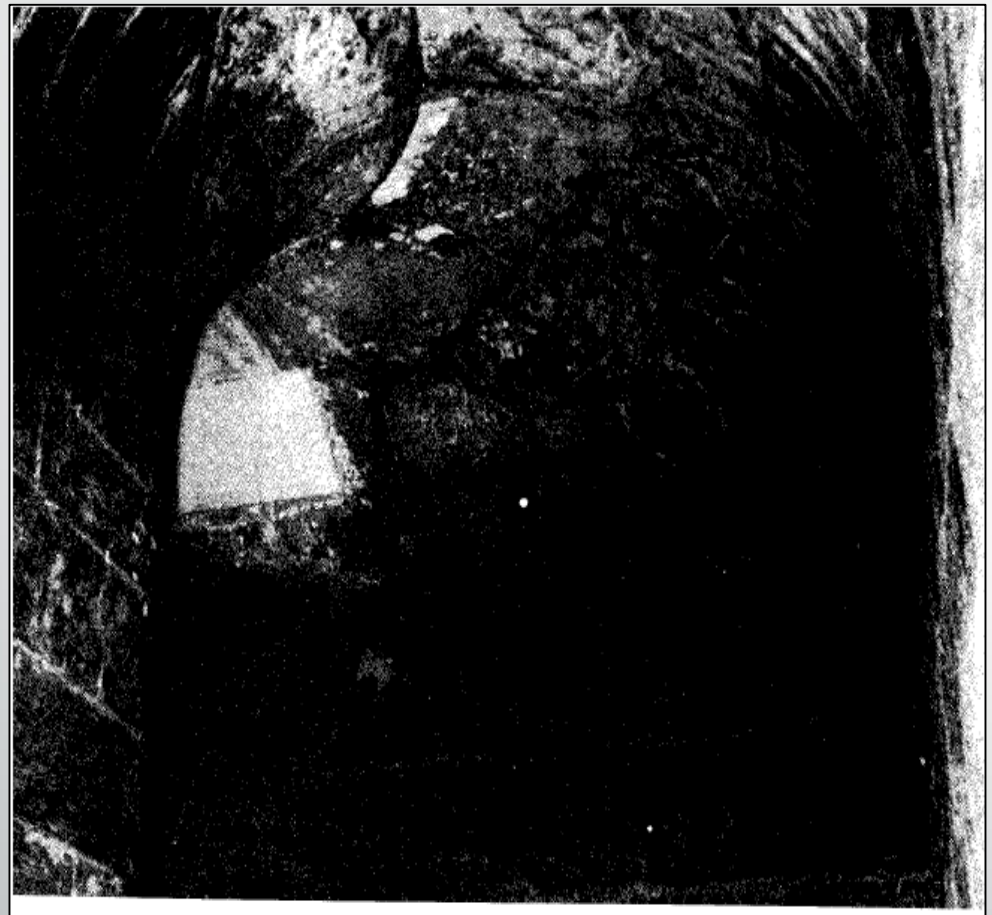

شافعي

ش : ٩٢ ــ مصر ، باب النصر ، زاوية الكسار النفق

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

وما أن تبينت ملاءمة ذلك التخطيط لذلك الغرض حتى شيدت عليه المدارس في أقطار الدولة السلجوقية ، وكان من أشد المتحمسين لذلك هو نظام الملك وزير ألب أرسلان ، كما تولى أولاده الوزارة للسلاطين الذين تتابعوا بعد ذلك .

وقد تنبه نظام الملك إلى إمكان استغلال المدارس لنشر التعاليم السنية ، فرفع المدرسة من مبنى عادي إلى مؤسسة ترعاها الحكومة وترعى من فيه من طلبة وأساتذة .

ومما هو جدير بالذكر أن محمود الغزنوي

العصر السلجوقي المتأخر ، أي في القرن ٧ ـ ٨ هـ (١٣ ـ ١٤ م) ، لما تأكد لدينا أن تخطيطها قد سار على نظام الإيوانات . ويوضح ذلك عدد من الأمثلة التي ما تزال قائمة في مدن قونية[٣٩] ، وسواس ، وديوريجي[٤٠] ، وغير ذلك مما سيأتي شرحه في صفحة تالية .

ومن أمثلتها الشهيرة في منطقة آسيا الصغرى مدرسة إنجي ميناريللي (ش : ١٠٩ ـ ١١١) . وهي على الرغم من أنها لا تحتوي إلا على إيوان واحد جهة القبلة وضع في محوره دهليز المدخل على الواجهة الرئيسية بجوار المنارة العالية الرشيقة ، إلا أنها تمثل وجود فكرة الإيوانات ، ووحدات الإقامة التقليدية في المدارس (ش : ١٠٩)[٤١] .

قد سبق السلاجقة إلى تشييد المدارس[٣٦] ، كان أولها في نيسابور في أواخر القرن الرابع الهجري (١٠ م) وأوائل القرن التالي ، غير أنه لم يبق شيء من تلك المدارس التي شيدها محمود الغزنوي ، ولا التي شيدها السلاجقة في نيسابور في القرن الخامس الهجري (١١ م)[٣٧] ولا التي شيدت في بغداد وطوس والبصرة وأصفهان وهراة وبلخ[٣٨] . وأغلب الظن أن المغول قد خربوها تماماً ولم يبقوا على شيء منها ، ولولا المدارس التي بقيت في أنحاء آسيا الصغرى وتؤرخ في عصر سلاجقة الروم أو

ومن الجدير بالذكر أن معظم تلك المدارس بل والمساجد التي ينسب بناؤها إلى ذلك العصر قد شيدت بالحجر في دقة وإتقان عظيمين ، وبخاصة واجهات المداخل الرئيسية فيها (ش : ١١١) ولها شخصية مرموقة من حيث التصميم العام والتكوينات الزخرفية من أشرطة ومقرنصات ومشبكات إلى غير ذلك .

هذا ولم يقتصر الدور الهام الذي قامت به الإيوانات على تخطيط المدارس السنية ، بل إنها قامت من جهة أخرى بدور لا يقل أهمية في تخطيط المساجد ، فلقد ساعدت على ظهور نموذج جديد يعد ثاني نماذج ذلك التخطيط ، بل إنه مسئول عن ظهور نموذج ثالث أيضاً . ذلك أنه بالإضافة إلى النموذج الأول وهو

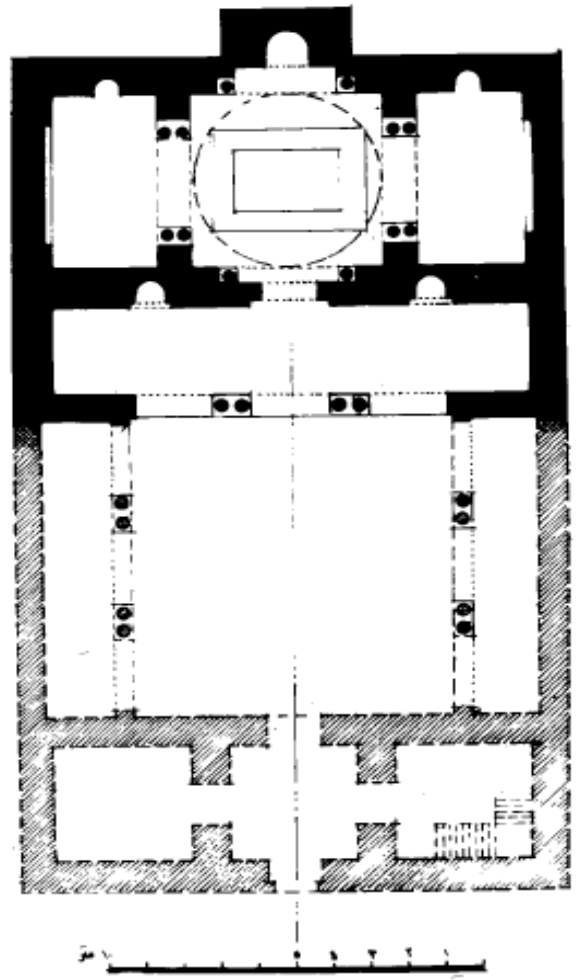

شافعي وكريسول

ش : ٩٥ ــ مصر ، ضريح رقية ، مسقط

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

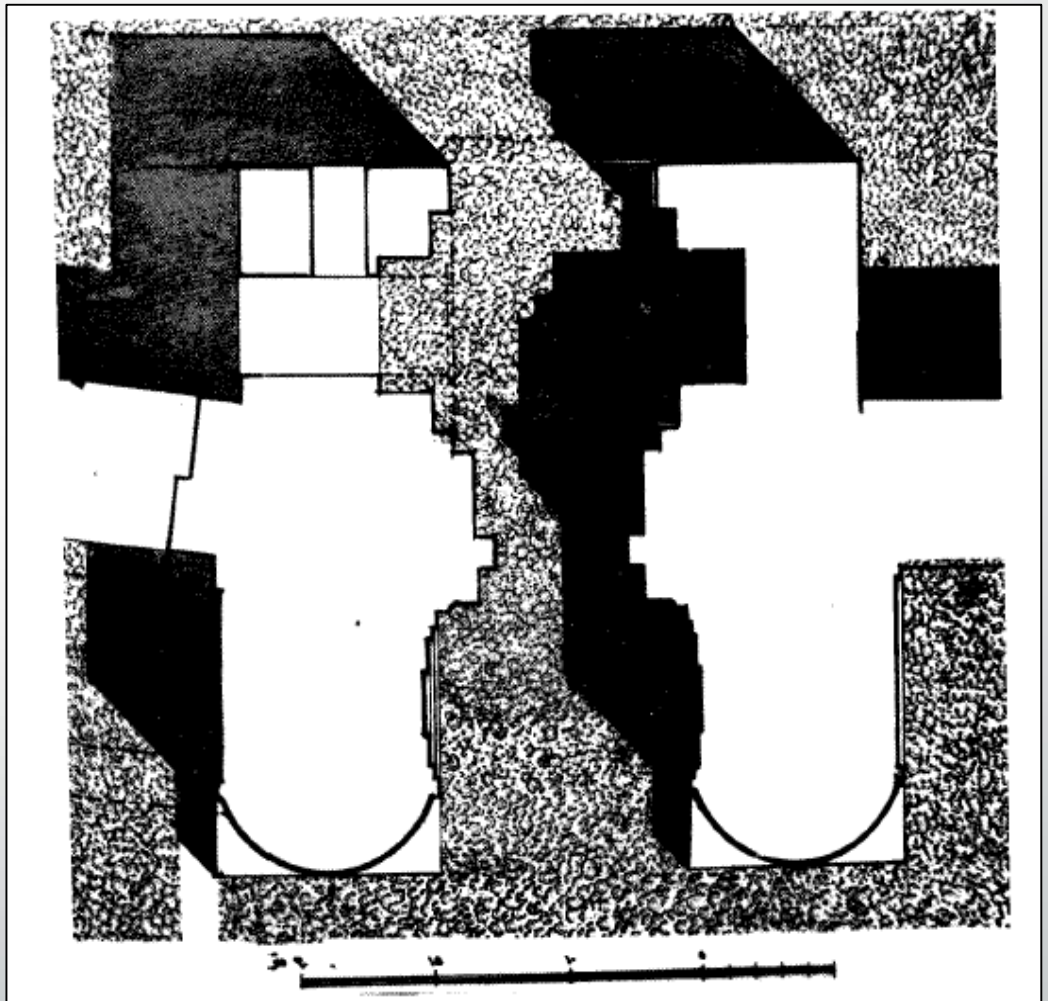

ش : ٩٣ ــ مصر، باب زويلة ، مسقط

شافعي وكريسول

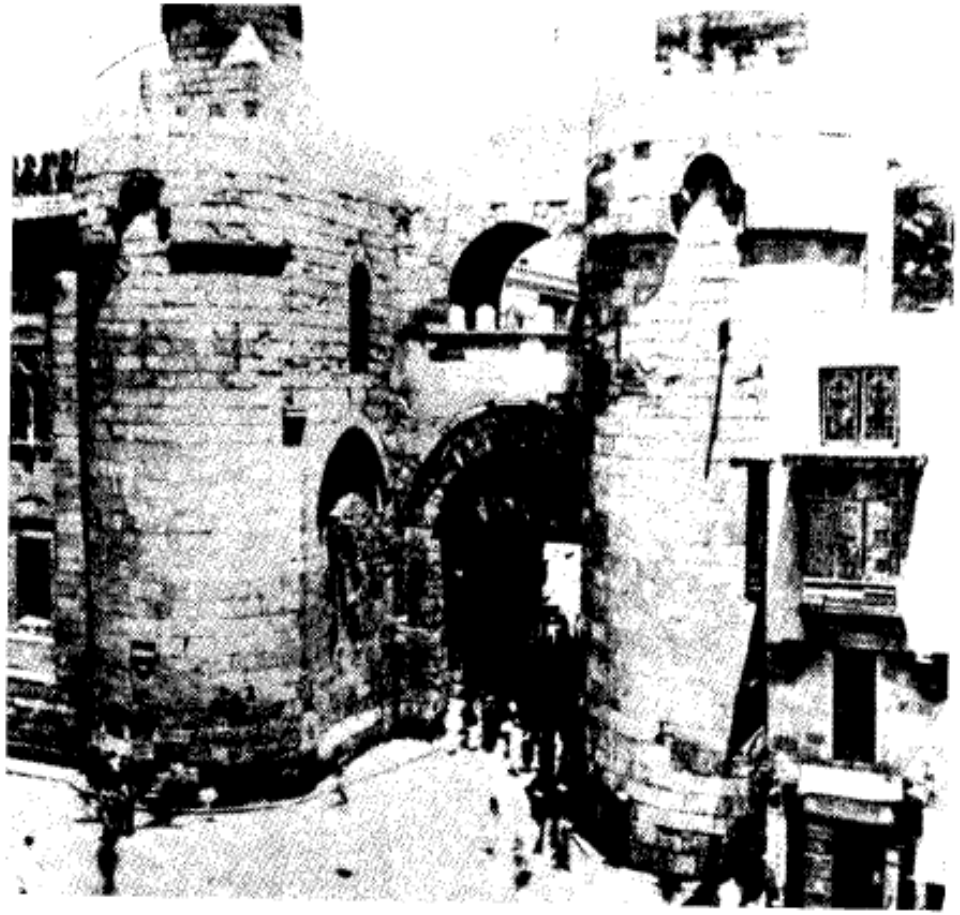

ش : ٩٤ ــ مصر، باب زويلة ، واجهة

كريسول

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

النبوي فإن الإيوان الرئيسي في المدرسة والذي كان يخصص لتدريس المذهب الذي كان يتبعه صاحب المدرسة وبانيها كان يزود بمحراب في جدار قبلته ، وبمحرابين أحياناً في الإيوانين الجانبيين ، وكان ذلك الإيوان الرئيسي وغيره من الإيوانات تقام فيها الصلاة إذا ما حان وقتها . وكان ينضم إلى المدرسين والطلاب المقيمين في تلك المدارس أفراد من الشعب القريبين منها ، ويؤدون فيها الصلاة اليومية . بينما ظلت تقام الجمعة في المساجد الجامعة الرئيسية للمدينة أو الأحياء الهامة . ثم تطور الأمر إلى وضع منبر في الإيوان الرئيسي لتلقى من عليه خطبة الجمعة والأعياد وقراءة المراسيم ، أي أصبح الكثير من تلك المدارس مساجد جامعة أيضاً ، أو بمعنى آخر أنه قد ظهر نموذج ثان لتخطيط المساجد سميناه بالنموذج السني أو بالنموذج ذي الإيوانات .

أما النموذج الثالث لتخطيط المساجد الجامعة فإن التخطيط النبوي الذي كان يتكون من الصحن والظلات في جانب أو أكثر من الصحن قد أضيف إلى ظلة القبلة منها في أول الأمر إيوان كبير يفتح على الصحن وفي محور المحراب ، وفي بعض الأحيان كان ذلك الإيوان يتقدم منطقة مربعة وضعت أمام المحراب وذلك لتأكيد أهمية القبلة . ثم تطور الأمر وزادت أهمية الإيوانات بأن أضيفت إلى الجوانب الأخرى من الصحن التي بها الظلات أو خلوات إقامة الطلبة والمدرسين .

ويمكن أن يعد هذا النموذج الثالث مزيجاً من النموذجين السابقين ، ولكن مما يستلفت النظر أن أمثلته الباقية تكاد تختص بها منطقة فارس دون غيرها من مناطق العالم الإسلامي ، ومنها جامع نيريز[٤٢] ، ومنها جامع جلبيجان في زوارة[٤٣] ، ومثل مسجد مالك في كرمان (ش : ١٠٣)[٤٤] ، والمسجد الجامع في أردستان (ش : ١٠٤)[٤٥] .

ويأتي على رأس تلك الأمثلة العديدة المسجد الجامع بأصفهان الذي يعد خير مثال لذلك النموذج الثالث (ش : ١٠١ و١٠٢)[٤٦] ، فلقد بدأ بناؤه في أيام ملك شاه في سنة ٤٨١ هـ (١٠٨٨ م) ، ثم أضاف وزيره نظام الملك الظلات التي جعل أروقتها على شكل مناطق مربعة ، عُدّل بعضها وزيد فيها في عصور تالية . غير أن من تلك المناطق المربعة ما غطيت بقباب صغيرة وأقبية كروية شيدت بالآجر (ش : ٢٠١ ـ ٢٠٤)[٤٧] تعد من أروع ما أنتجه المعماريون المسلمون ، وسيأتي شرحها مع القباب في الفصل الرابع .

* * *

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

وإذن فعلى العكس من المذهب الشيعي الذي كان يعتنقه الفاطميون المعاصرون للسلجوقيين ، والذي لم يكن له تأثير ما على التطور المعماري للطراز العربي الإسلامي ، لا في التخطيط أو العناصر أو التفاصيل ، فإن المذهب السني قد أحدث تحولا هاماً في ذلك التطور ، وبخاصة في منطقتي الشرق والوسط من العالم الإسلامي دون غربه الذي لا يوجد به مثل واحد لا من نموذج الإيوانات أو النموذج الثالث ذي الإيوانات والظلات .

* * *

ونعود لنتتبع مراحل تطور المدارس ذات الإيوانات فنجد أنه على العكس من توفر أمثلة العمائر الدينية في منطقة فارس من مساجد من النموذج النبوي ومن النموذج الثالث ذي الظلات والإيوانات فإن المدارس التي شيدت هناك على نظام الإيوانات فحسب قد اختفت أمثلتها تماماً من تلك المنطقة ، ولم تصلنا إلا أخبارها فحسب ، هذا في الوقت الذي وصلتنا أمثلة منه من العراق ، من أشهرها مدرسة المستنصرية ببغداد (ش : ١٠٥) وتؤرخ في سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣١ م)[١٨] ، كما تنتشر أمثلتها في منطقة آسيا الصغرى كما سبق شرحه .

ولحسن الحظ بقي من فترات حكم الأتابكة وبني زنكي في منطقة الشام كثير من المدارس التي شيدت على نظام الإيوانات وتعاصر في تاريخها حكم الفاطميين في مصر . كما بقيت أمثلة أخرى من المدارس ذات الإيوانات في كل من مصر والشام من عصر الأيوبيين ، غير أن مدارس الشام تتميز بوجود إيوان أو أكثر على جوانب الصحن باستثناء جانب القبلة ، فقد استبدل الإيوان بقاعة يفصلها عن الصحن جدار به ثلاث فتحات ، باب في الوسط ونافذتان على جانبيه . ومن أمثلتها العديدة المدرسة النورية بدمشق (ش : ١٠٦) وتؤرخ في ٥٦٧ هـ (١١٦٢ م)[١٩] .

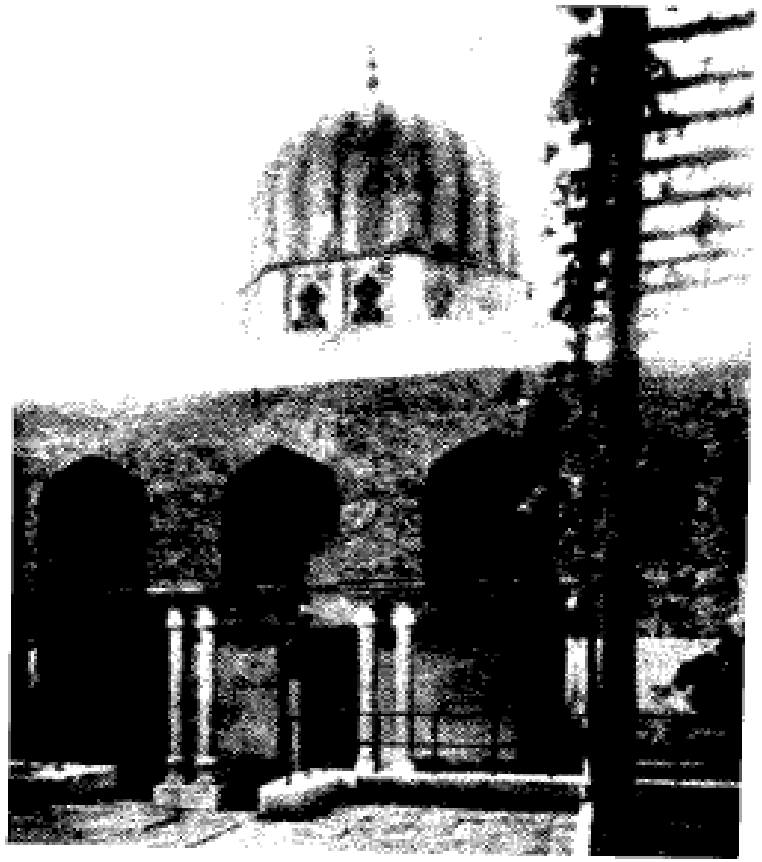

كريسول

ش : ٩٦ ــ مصر ، ضريح رقية ، واجهة

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

أما المدارس في مصر من النموذج ذي الإيوانات ، فإنها لم تبدأ في الانتشار إلا في العصر الأيوبي وبعد القضاء على الدولة الفاطمية . وبنى أولها صلاح الدين بجوار قبر الإمام الشافعي ، غير أنها اندثرت . وأقدم ما بقي من المدارس الأيوبية فهو إيوان واحد من المدرسة الكاملية ، وتؤرخ في ٦٢٢ هـ (١٢٢٣ م)[٥٠] ، كما بقي نصف المدرسة الصالحية في النحاسين (ش : ١٠٧)[٥١] ، وتؤرخ في عام ٦٤١ هـ (١٢٤٢ م) ، وهي كالمدرسة النورية قد ألحق بها ضريح . ويتكون ذلك النصف من إيوانين متقابلين يتوسطهما فناء ، وكان النصف الآخر على نفس النظام ولكنه تهدم تماماً ولم يبق منه إلا واجهته ، وكان

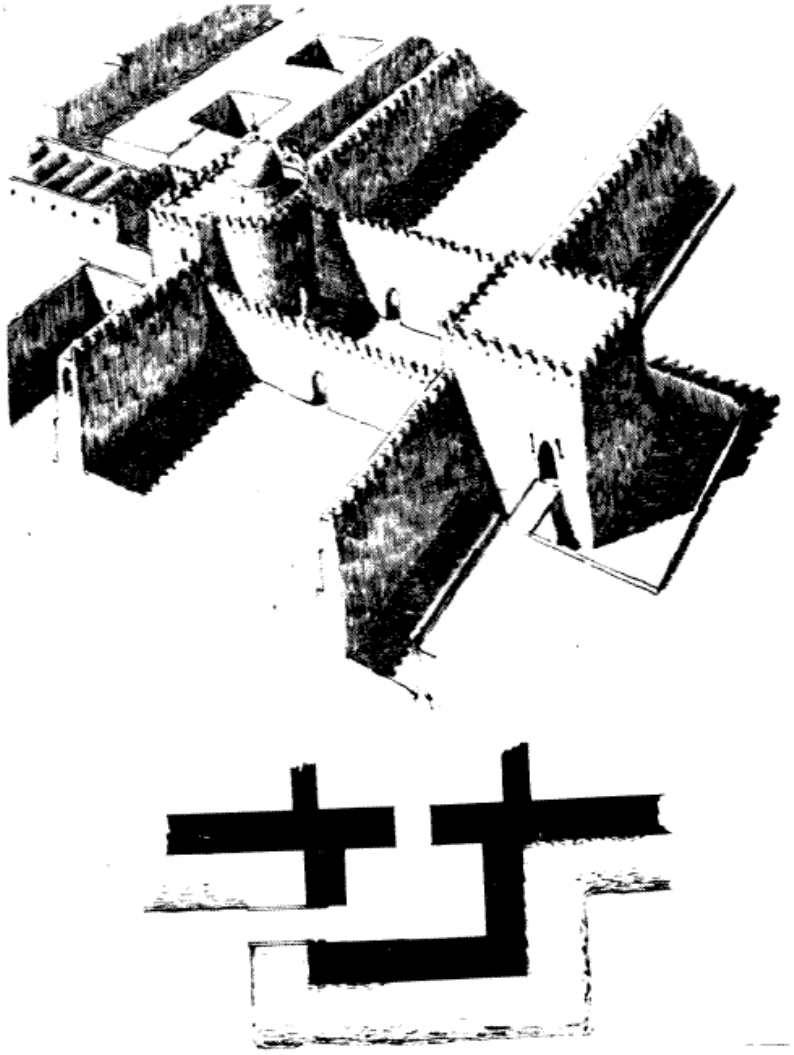

هرتزفلد

ش : ٩٧ ــ بغداد ، الباشورة

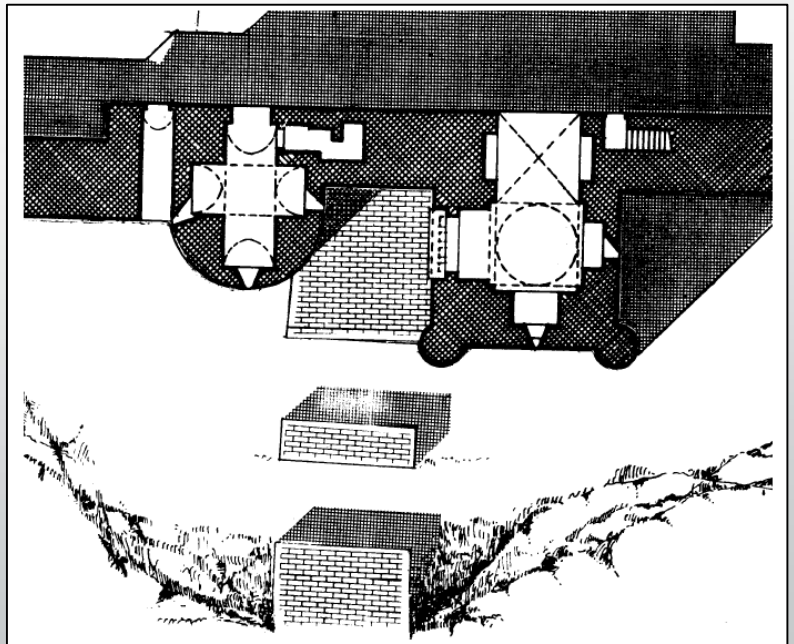

شاعي

ش : ٩٨ ــ القاهرة ، الباب الجديد ، مسقط

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

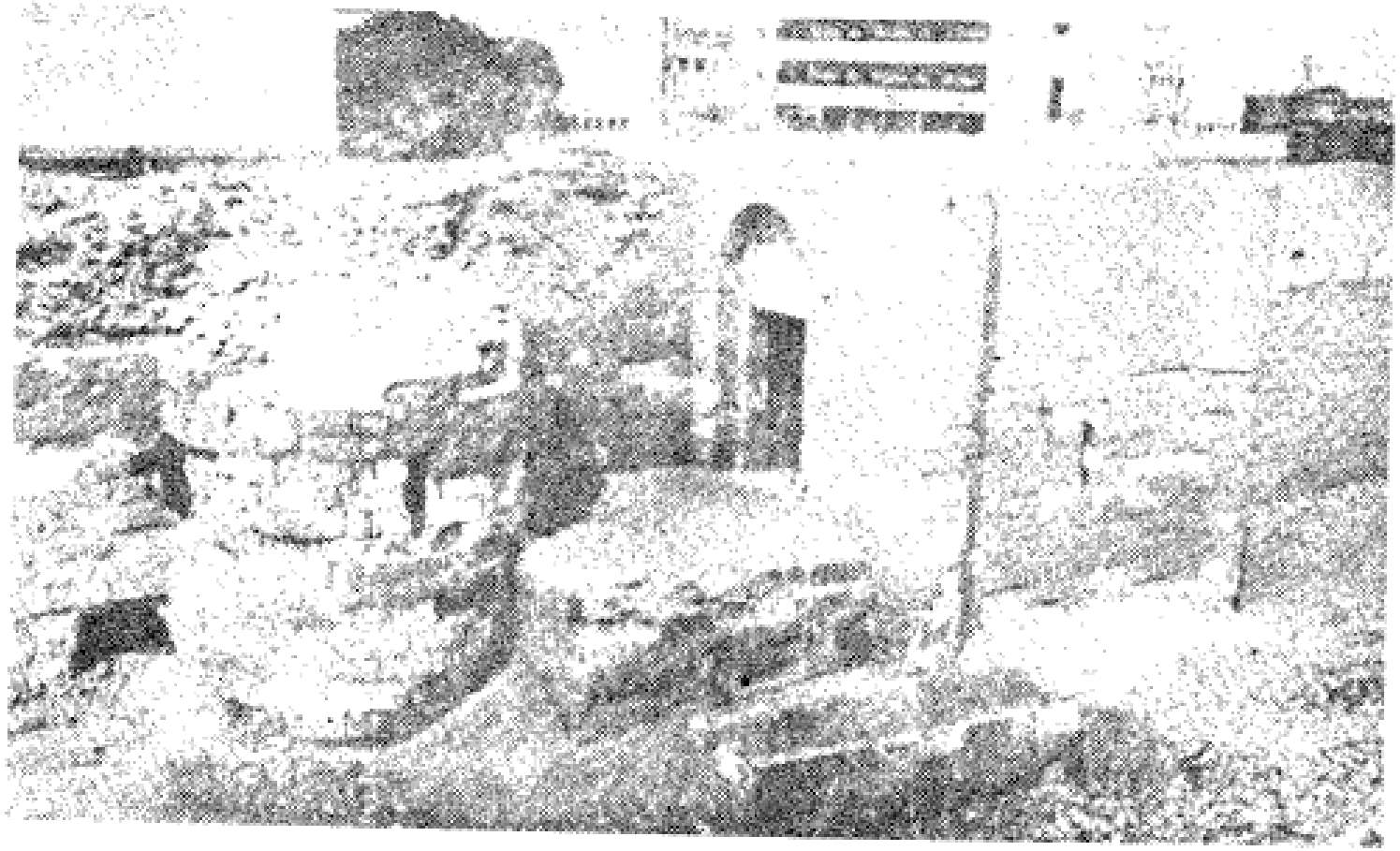

ش : ٩٩ ــ القاهرة ، الباب الجديد ، منظور

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

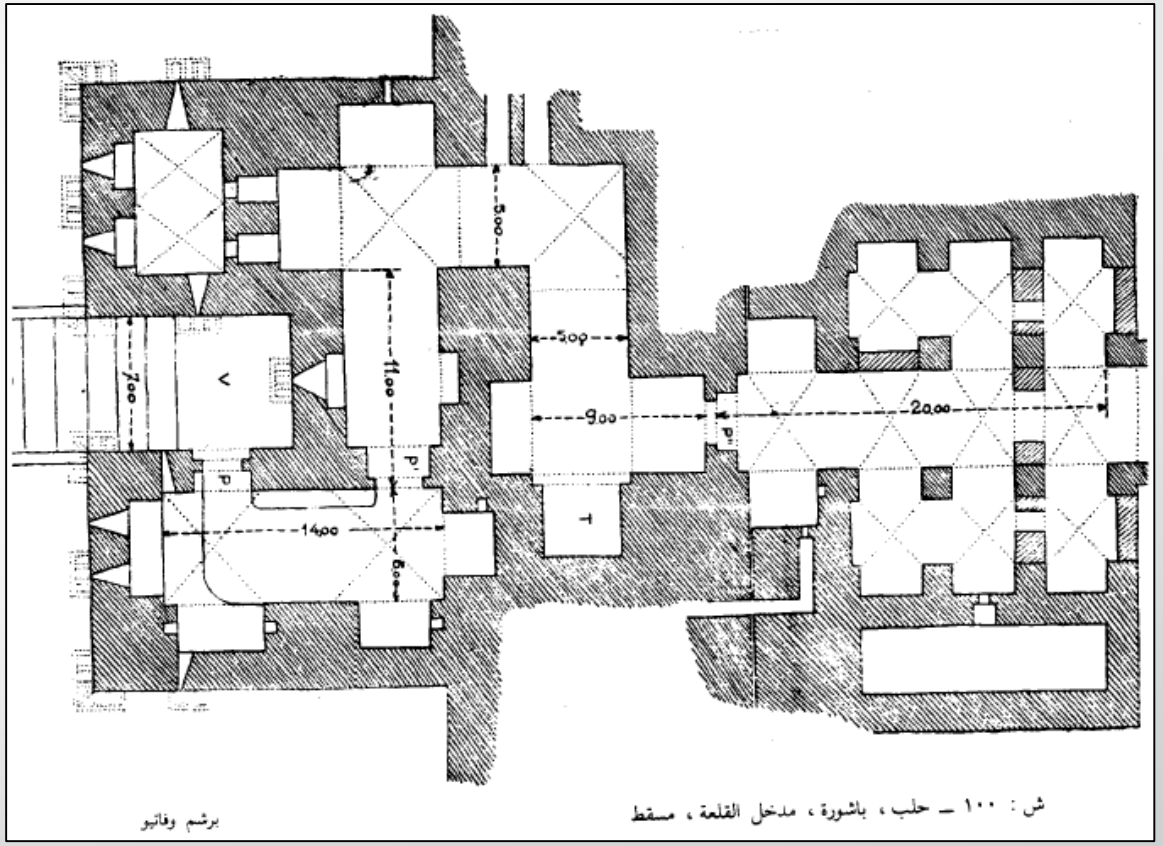

ش : ١٠٠ ــ حلب ، باشورة ، مدخل القلعة ، مسقط

برشم وفاتيو

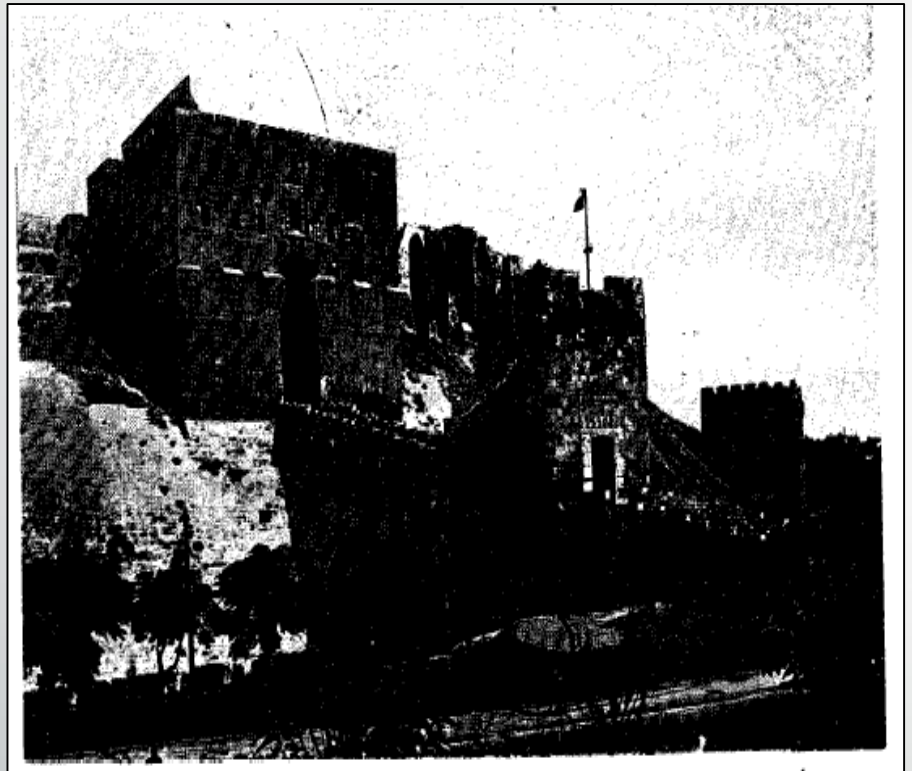

ش : ١٠٠ أ ــ حلب ، باشورة ، مدخل القلعة ، واجهة

اخوان كسار ــ حلب

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

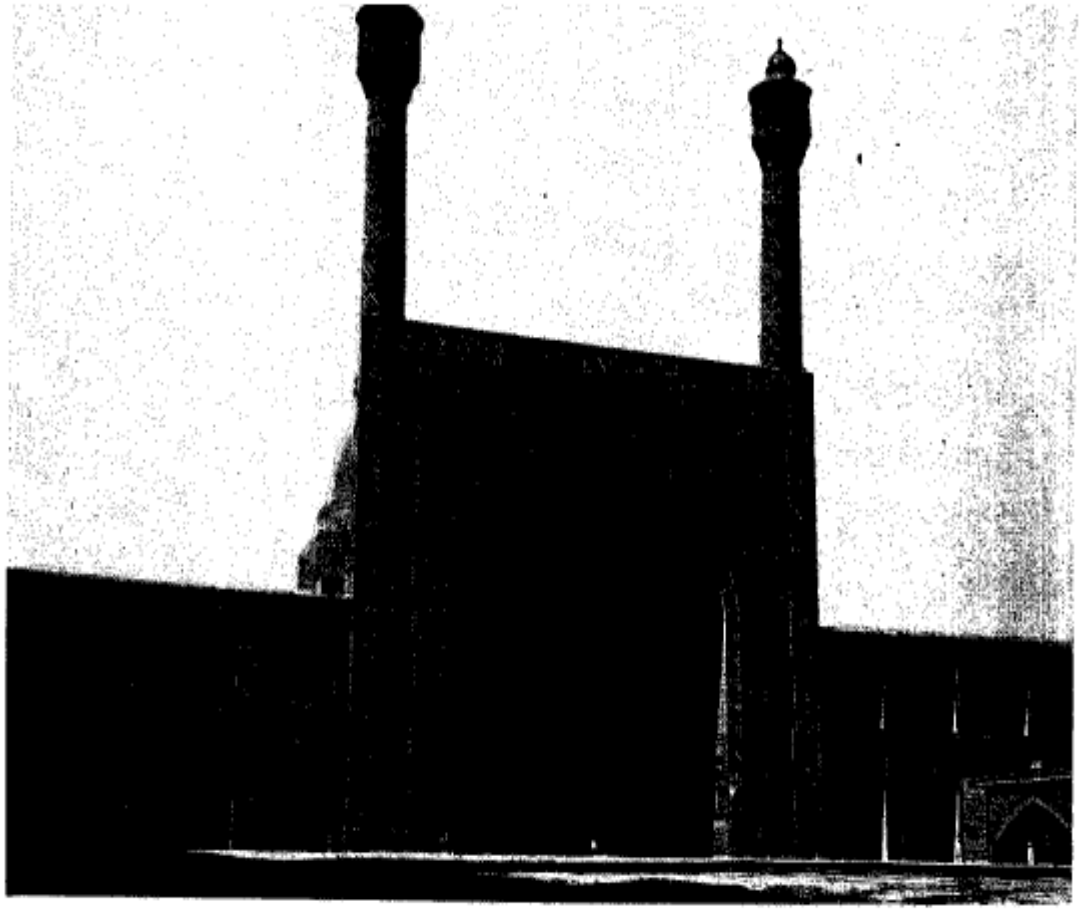

ش : ١٠١ ــ جامع أصفهان ، الإيوان الرئيسي

موسوعة الفن الفارسي

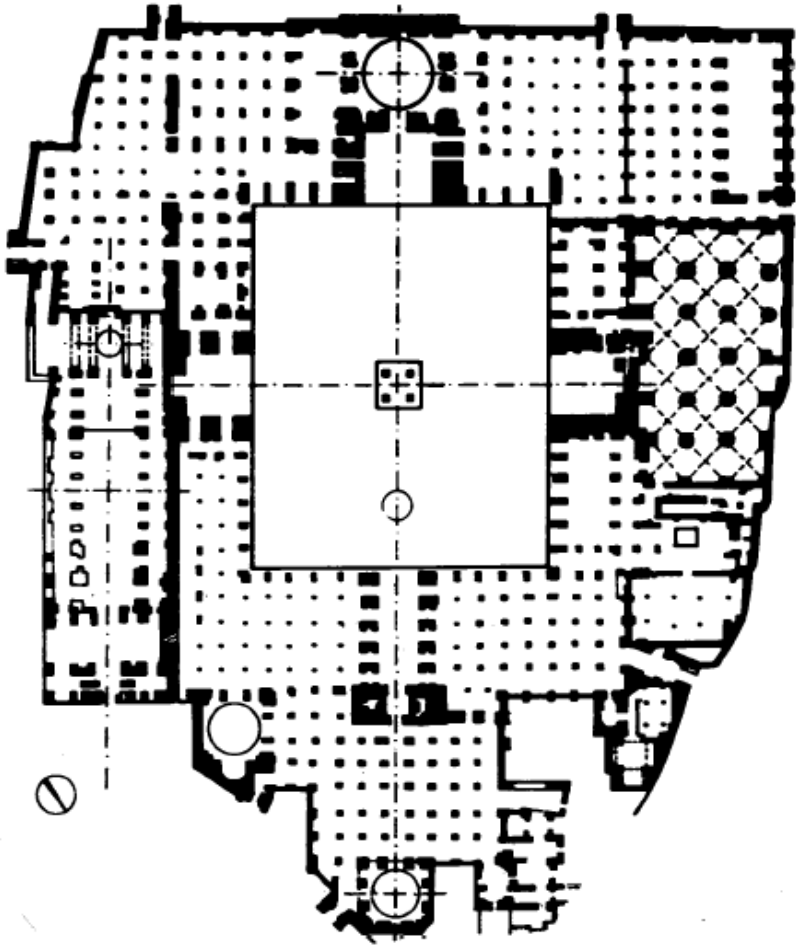

ش : ١٠٢ ــ جامع أصفهان ، المسقط

موسوعة الفن الفارسي

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

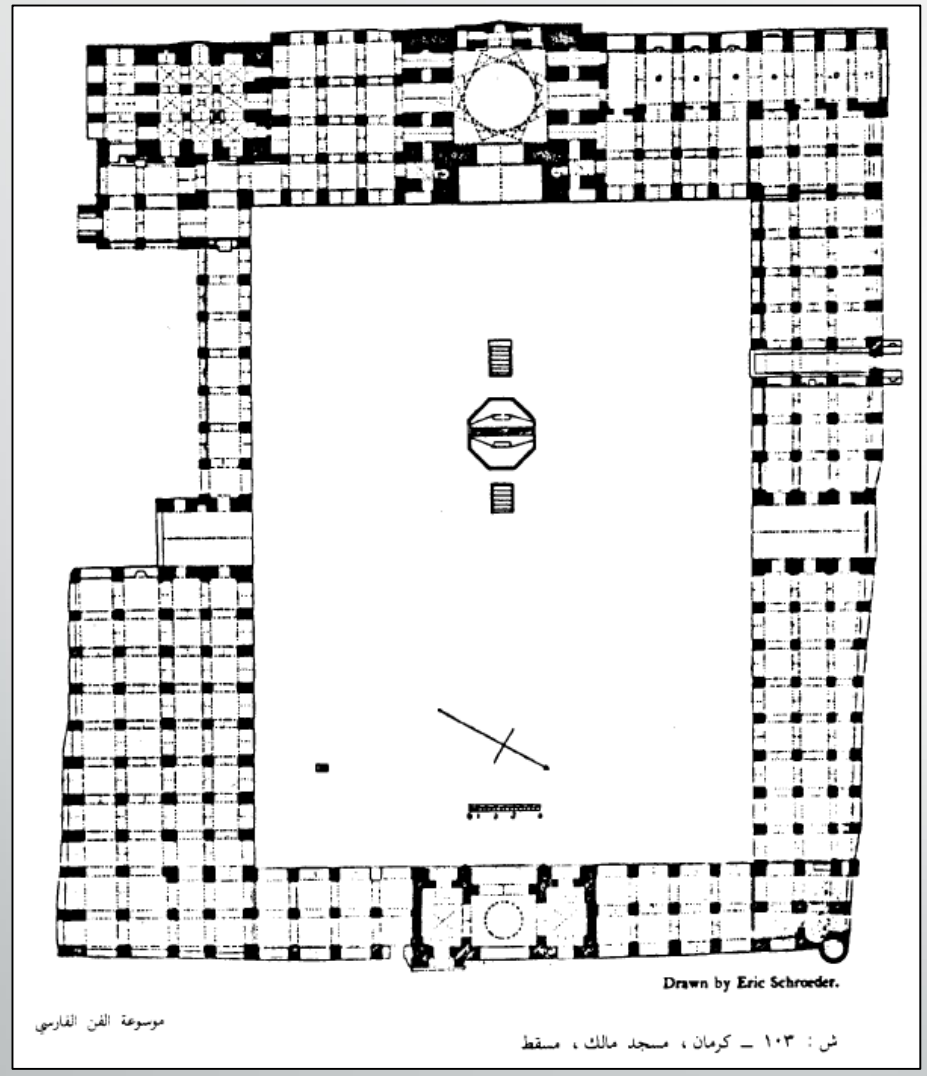

ش : ١٠٣ ـ كرمان ، مسجد مالك ، مسقط

يفصل النصفين حارة الصالحية الحالية (ش : ١٠٧) .

ولم تنتشر المدارس ذات الإيوانات الأربعة إلا في العصر المملوكي في مصر ، وأقدم مثل منها مدرسة الناصر محمد بن قلاوون في النحاسين (ش : ١٠٨)[٥٣] وتؤرخ في ٦٩٥ ـ ٧٠٣ هـ (١٢٩٥ ـ ١٣٠٤ م) .

ولم يقتصر استخدام التخطيط ذي الصحن والإيوانات على المدارس في مصر والشام وحسب ، بل استخدم أيضاً للمساجد الجامعة والخانقاوات وغيرها من أنواع العمائر الدينية والمدنية مثل المارستانات .

* * *

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

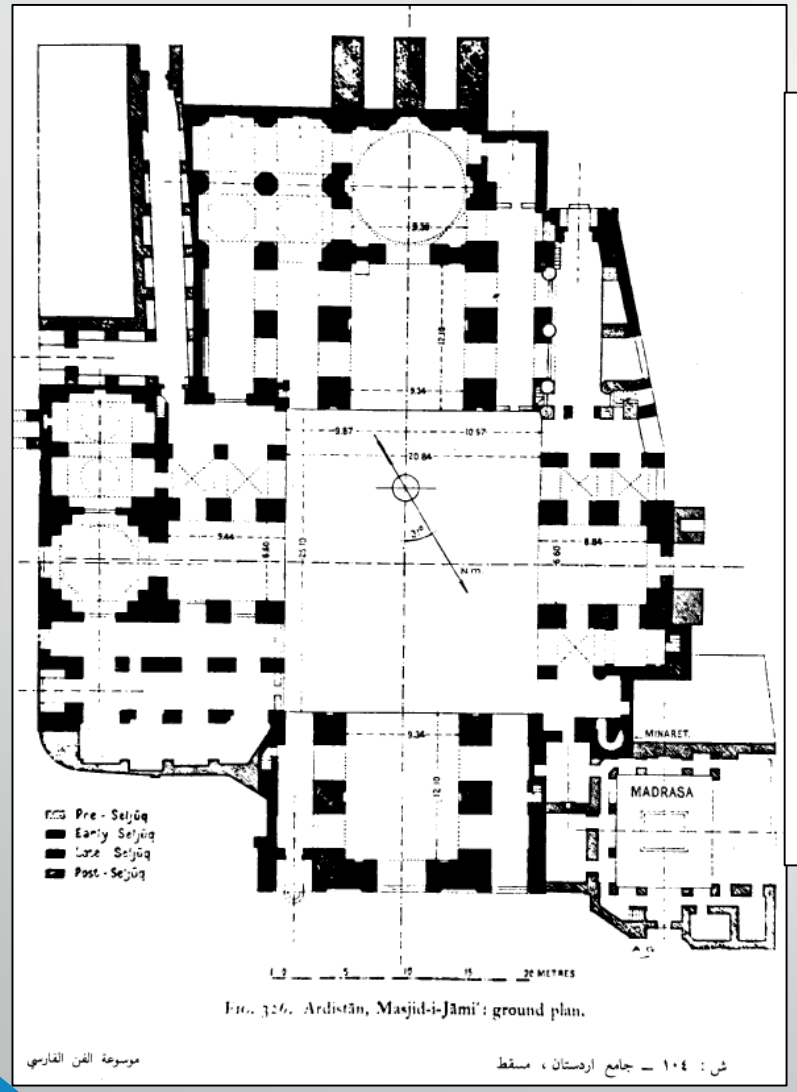

Fig. 326. Ardistān, Masjid-i-Jāmi': ground plan.

موسوعة الفن المعماري

ش : ١٠٤ ـ جامع اردستان ، مسقط

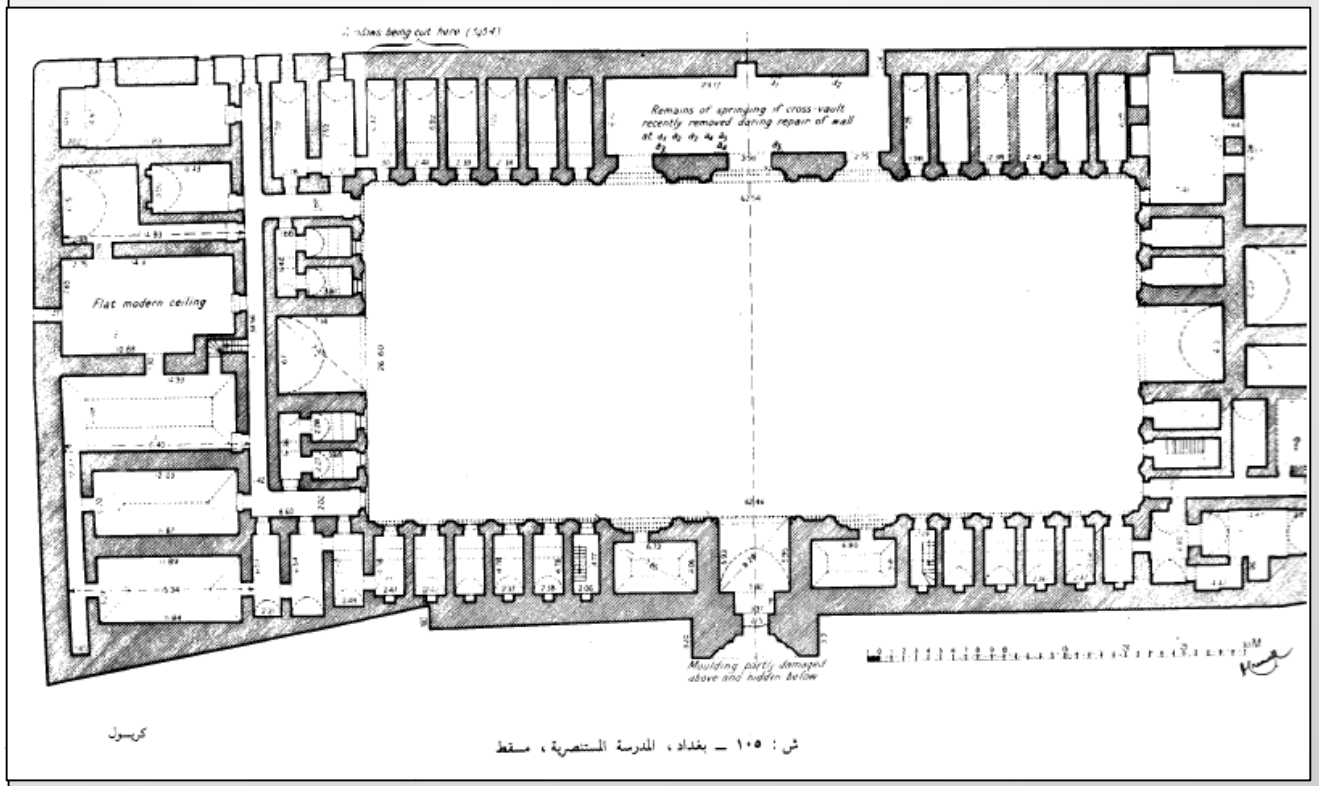

كريسول

ش : ١٠٥ ـ بغداد ، المدرسة المستنصرية ، مسقط

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

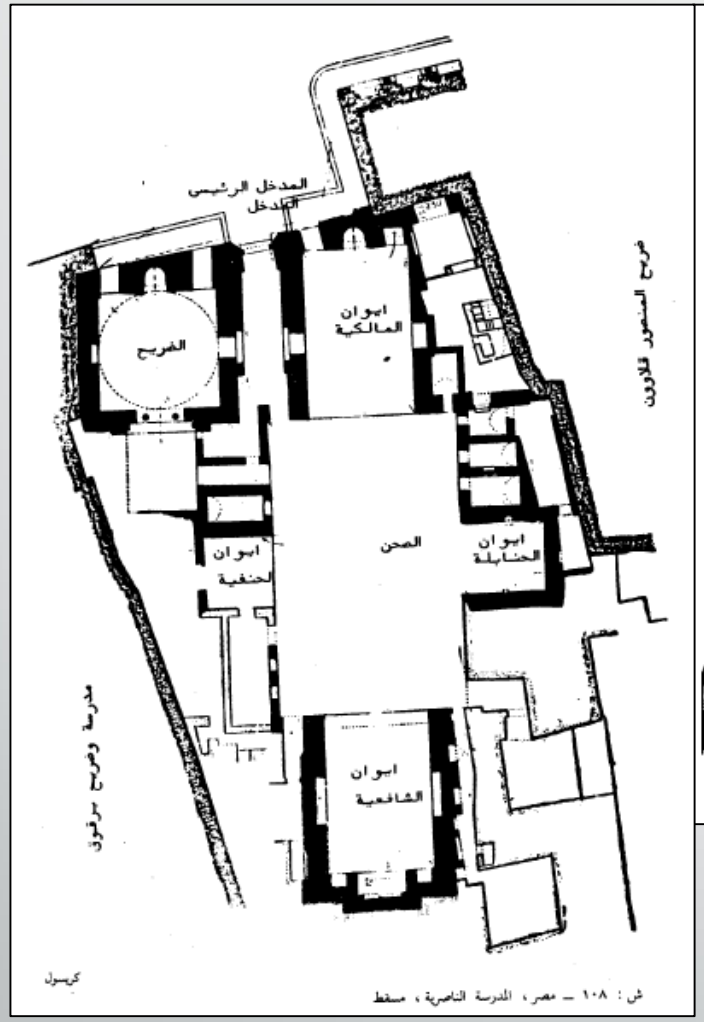

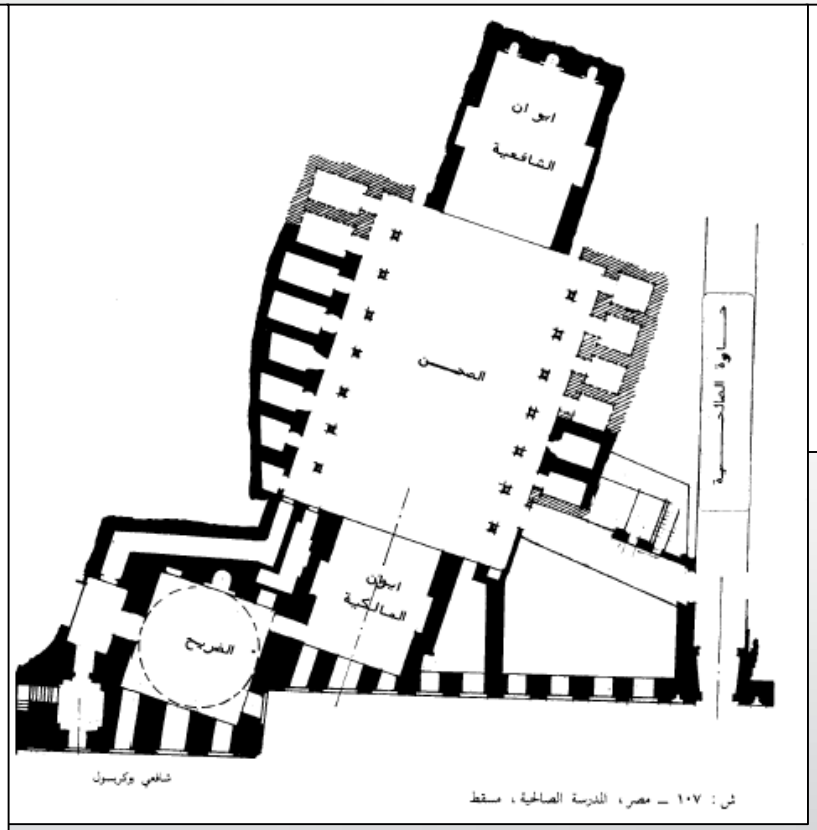

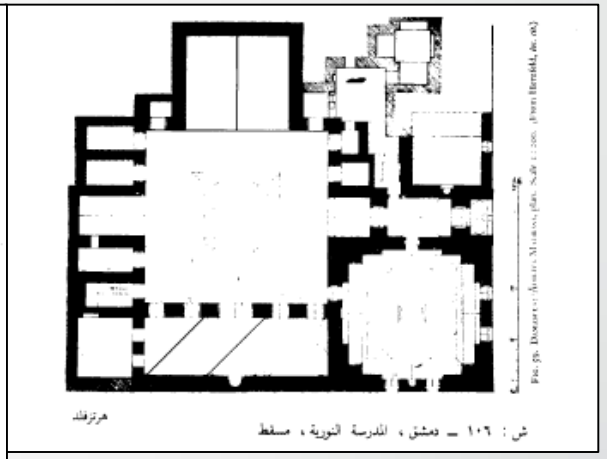

العمارة العربية الاسلامية في عصورها الوسيطة , القرن (4-9) هـ / (10-15) هـ

وهناك عدة نقاط هامة تتصل بموضوع استخدام الإيوانات في تخطيط العمائر الدينية في العالم الإسلامي وتستحق الشرح والتوضيح نظراً للدور الخطير الذي لعبه الإيوان في العمارة الإسلامية وبخاصة في منطقتي الشرق الأدنى والأوسط من العالم الإسلامي .

وتتعلق أولى تلك النقاط بأصل الإيوان ومحاولات المستشرقين الباحثين في العمارة الإسلامية نسبته إلى الطراز الساساني ، وبخاصة أولئك الذين ساهموا في وضع موسوعة الفن الفارسي وذلك على زعم أن الساسانيين الذين حكموا العراق وفارس فترة تقرب من أربعة قرون (٢٦٢ ـ ٦٣٤ م) ، كانوا من الفرس ، وهو خطأ شائع تكشفه عدة حقائق : منها أن حاضرة أولئك الساسانيين كانت في المدائن المعروفة عند المؤرخين القدماء « بطيشفون » ويعرف موضعها الآن « بسلمان پاك » وتقع على بعد نحو ٢٠ كيلومتراً إلى الجنوب من مدينة بغداد ، وفي منطقة قريبة جداً من موضع بابل القديمة ، ومن موضع سلوقيا عاصمة السلوقيين الذين خلفوا الاسكندر في حكم فارس والعراق بعد قضائه على الأخاميتيين الفرس ، والذين كانت حاضرتهم « پرسپوليس » بالقرب من مدينة شيراز على أرض فارس . ولو كانوا فرساً حقاً لما رضوا بترك بلاد أجدادهم في فارس واتخاذ أرض العراق مركزاً لحكم دولتهم التي شملت كلا من العراق وفارس .

ومن ناحية أخرى ، فإن الإيوان ليس ابتكاراً ساسانياً ، إذ ترجع أقدم أمثلة له إلى العصر البرثي وإلى القرن الأول الميلادي على الأقل ، ويشاهد في قصر في مدينة أشور (ش : ١١٢) يحيط بالفناء الأوسط فيه إيوانات أربعة ، كما توجد عدة أمثلة في مدينة الحضر (ش : ١١٣ ـ ١١٥)[٣٣] .

وأثبتت النقوش التي عثر عليها في أطلال مدينة أشور ومدينة الحضر أنه كان يسكنها قبائل عربية هم الذين قاموا ببناء مدينة الحضر ، وكان منهم قبيلة قضاعة وقبيلة بني عبيد في شمال العراق ، وكان يسكن جنوبها قبيلة المناذرة وغيرهم .

إذن ، فلا فضل للساسانيين ولا للفرس في ابتكار الإيوانات أو ابتكار التخطيط ذي الصحن الأوسط والإيوانات على جانب أو أكثر منه ، ومن المرجح أن يكونوا قد ورثوا الفكرة من البرثيين ، كما ورثوا مدينة المدائن حاضرتهم السابقة .

والنقطة الثانية ، أن الإيوان الذي وضع جهة القبلة في المدارس كان أكبر اتساعاً وعمقاً من سائر الإيوانات في الجوانب الأخرى ، باستثناء المدارس في الشام التي استبدل فيها إيوان القبلة بقاعة الصلاة المقفلة . وتتضح خاصية إيوان القبلة الكبير في المساجد الفارسية .

والنقطة الثالثة ، أن الإيوانات بل الجدران والأعمدة الغليظة في العمائر السلجوقية وما تلاها من عمائر في العصور الأخرى في فارس ، قد اتبع فيها الأسلوب العراقي من حيث استخدام عناصر وخصائص معمارية عراقية الأصل ، ومنها مادة البناء بالآجر الذي كان المادة الرئيسية في العراق ، بينما كان يتوفر كل